علام تتكلمون

قد يشاهد في كل زمان ان أعذب الألفاظ، عند أرباب الفضيلة، تضحي أهول الألفاظ، عند أهل الاثم. من ذلك لفظة حب أو محبة أو حتى اخوة!

هذه المصطلحات تدلُّ أساسا على شعور قلبي، وأما عند أعداء المحبين، فهي كلمات تهديد وإرعاب يتذرّع بها أرباب الشر. فباسمها قد رأى العالم متساقطة رؤوس الأشراف والأماجد؛ باسمها ثلّت العروش العظيمة، وتدهورت الممالك الفخمة؛ بإسمها أهريقت دماء الملوك والقياصرة؛ باسمها قد عذّبت ونفيت الكهنة والأحبار وشيوخ القوم؛ بإسمها قد شتتت القواد والأمراء؛ بإسمها امتهنت القداسة وهتكت الفضيلة؛ بإسمها قد احتقرت الديانات واضطهد رجال الدين. أجل، ان كل هذه الفظائع قد ارتكبت بإسم الحب والمحبة والاخوة، مما جعلها مجرّد أسماء فارغة، إذ متى دلّت هذه المفاهيم النبيلة على هذه الأمور الشنيعة؟

ما هذه المفاهيم الأسطورية المضمون عندنا على الخصوص، سوى أهواء كاذبة، شنيعة، كريهة؛ وما أربابها غير أعداء تقمصوا رداء السعادة الحقيقي، بل قلّ ذئاب خاطفة قد لبسوا لباس الحملان.

المشاعر تلك، بمعناها المطلق، هي الاتحاد بين أفراد أحياء، أو هي كثرة الأفراد المدعوين الى مائدة الحب المصفّى في وحدة شخص هو الأب. هذا جوهر الحب الذي نتشدق به ليل نهار، ونقيم له الاحتفالات بلا كبير جدوى. هذا الحب الذي هو نفحة علوية من السماء، لا نجد له أثرا كبيرا في أيامنا هذه، بل انه لا يتجسد فعلا وفي العمق إلّا في الأساطير والخرافات.

د. جهاد نعمان

استاذ في المعهد العالي للدكتوراه